

العقيدة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارا به، وتوحيدا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا ،
أما بعد:

والعقيدة لغة فعيلة: من عقد بمعنى معقودة (بمعنى اسم المفعول) عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: شده، والعقد: العهد .(انظر لسان العرب لابن منظور).
فكان العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى، وذلك لاستقرارها في القلوب ورسوخها في الأعماق.

مفهوم العقيدة اصطلاحاً: العقيدة تطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذ مذهباً وديناً يدين به؛ فإن كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلالة.(
انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ الدكتور ناصر العقل ص 9-10).
إن العقيدة هي جماع الأمر وملاكه ، فليس يسبق العقيدة شيء في منهج الدين ، وليس يقوم مقام التوحيد شيء في سلوك التدين ، وصلاح القلب والعمل .

وما من نبي ولا رسول إلا كانت العقيدة عماد دعوته ، وأول أمره ، وباكورة منهجه :
{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الأعراف : 59] .

{ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [الأعراف : 65] .

{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف : 73] .

{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف : 85] .

لبث الرسول - صلى الله عليه وسلم - من لُذُنْ مبعثه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ، يُعلِّم أصحابه التوحيد الخالص ، ويزكيهم به . فما انقطع خبر السماء ، وما اختار رسول الله ما عند الله إلا بعد أن انتصر التوحيد ، واستقر الإيمان الخالص ، ورسخت دعائمه ، وعلت راياته البهية.

لقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جُند التوحيد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم دعائه وحرّاسه ، فقد لزموا منهج نبيهم الكريم الذي رباهم على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، وهم الموصوفون - ابتداءً - في قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * } وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } . [الجمعة : 2-3-4] .

وهم المقصودون بالأولية في خير القرون في حديث : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (1) . (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود) .
فمقياس الأولية في هذه الخيرية العظيمة هو : التوحيد العظيم المكين الخالص .
فما يُخَيَّرُ قوم على قوم إلا بصدق التوحيد ، والعمل بمقتضاه .

يقول الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) :
(فَإِنَّ أَوْجَبَ مَا عَلَى الْمَرْءِ ، معرفة اعتقاد الدين ، وما كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ فَهْمِ تَوْحِيدِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَتَصَدِيقِ رِسَالِهِ بِالْأَدْلَالِ وَالْيَقِينِ ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى طَرَقِهَا ، وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَقُولٍ ، وَأَوْضَحِ حُجَّةٍ وَمَعْقُولٍ : كِتَابُ اللَّهِ الْحَقُّ

المبين ، ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار المتقين ، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون) .

ثم يتحدث الإمام الالكائي عن اجتماع الكلمة بعد عهد الصحابة ، وتوحد المنهج العقدي ، ضمن إطار أهل السنة والجماعة: (فلم تزل الكلمة مجتمعة (أي العقيدة المنجية) والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين ، حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف ، وكلام غير مألوف في أول إمارة المروانية تُنازع في القدر وتتكلم فيه " .

لقد برزت الفرق الضالة القائلة بالقدر في إمارة عبد الملك بن مروان ، خرج معبد الجهني ، وهو أول من أظهر القول بالقدر .

ولقد تأذن الله تعالى أن يختار من أوليائه وخاصته من يتصدى لأصوات الباطل بحقائق التوحيد فيدفعها ، ويعيد التوحيد نقياً قوياً . وقد قال الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه) . إنَّ دلالة هذا الحديث تحققت في كل عصر ولله الفضل والمن .

وتأتلق هذه الدلالة أشد ما تأتلق في مقام عقيدة التوحيد ، وخلوص الإيمان ، فقد برز في كل قرن من القرون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، قاموا بالذب عن العقيدة الصحيحة السليمة خير قيام ، وجاهدوا في سبيل تثبيت أسسها وترسيخ قواعدها خير جهاد ، وكان نهجهم الدعوة والعلم والعمل ، فكان خير نهج ، فأعطى خير ثمار .

ففي أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني برز من هؤلاء الرجال - على سبيل المثال لا الحصر - : القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسليمان بن يسار .

وفي القرن الثاني ظهر : مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، ووكيع بن الجراح .

وفي القرن الثاني وأوائل القرن الثالث برز : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، والفَضْل بن دُكين .

وفي القرن الثالث برز : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، وأبو داود سليمان بن الأشعث .

وفي أواخر القرن الثالث ظهر : محمد بن جرير الطبري .

وفي القرن الرابع ظهر : عبد الرحمن بن أبي حاتم ، وعلي بن عمر الدارقطني .

وفي القرن الخامس برز : هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي .

وفي القرن السادس ظهر : الحسين بن مسعود البغوي ، وعبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الحنبلي .

وفي أواخر القرن السابع ، وأوائل القرن الثامن ، ظهر الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكان لظهوره ما بعده .

فقد جمع ابن تيمية منهج أهل السنة والجماعة ؛ في العلم ، والاعتقاد ، والفهم ، والعمل ، والسلوك ، وأحياء ، وحرره تحريرًا بديعًا ، اتسم بسعة العلم ، وقوة الأمانة ، وحسن العرض ، ودقة الضبط .

لثانية : أن جمهور علماء أهل السنة والجماعة ، وأئمتهم من المذاهب الأربعة وغيرها ، على عقيدة واحدة ، وإن اختلفوا في الفروع الاجتهادية .

وقد كتب في ذلك علماء مشهورون من مختلف المذاهب ، كالإمام أبي حنيفة في رسالته (الفقه الأكبر) ، والإمام الطحاوي الحنفي في عقيدته ، وشرحها لابن أبي العز ، والإمام أحمد بن حنبل فيما نُقل عنه من رسائل وإجابات في العقائد ، والإمام البخاري ، وابن أبي زيد القيرواني المالكي في رسالته المشهورة وغيرهم " .

ولتستبين هذه الحقائق وتوضح ، سنورد نماذج مما نُقل عن بعض أئمة أهل السنة والجماعة في مجال العقيدة .

الإمام مالك⁽¹⁾ رحمه الله تعالى :

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وبعضه أفضل من بعض .

وسئل عن الإيمان فقال : قول وعمل . قيل : أيزيد وينقص ؟ قال : قد ذكر الله سبحانه في غير آيٍ من القرآن أن الإيمان يزيد ، فقليل : أينقص ؟ قال : دع الكلام في نقصانه وكُفِّ عنه ، فقليل : فبعضه أفضل من بعض ؟ قال : نعم .

وكان يقول : القرآن كلام الله ، وكلام الله من الله ، وليس من الله شيء مخلوق ، ومن قال : القرآن مخلوق ، فهو كافر ، والذي يقف ، أشد منه ، يُسْتَتَابُ وإلا ضُرِبَتْ عنقه .

وسأله أبو السَّمْح قال : أيرى الله يوم القيامة ؟ فقال : نعم ، يقول الله عز وجل : { وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ } { إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ } [القيامة : 22 ، 23] ، وقال لقوم آخرين : { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّخُجُونَ } [المطففين : 15] .

وسأله الوليد بن مسلم عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقال : أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفَ .

وقال له رجل مرة : يا أبا عبد الله : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : 5] ، كيف استوى ؟ فقال : الاستواء منه معلوم ، والكيفُ منه غير معقول ، والسؤال عن هذا بدعة ، والإيمان به واجب ، وإنى لأظنك ضالاً ، أخرجوه عني .

وكان يقول : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ⁽²⁾ .

(¹) مالك بن أنس بن مالك ، أبو عبد الله الأصمعي الحميري ، إمام دار الهجرة ، توفي في المدينة المنورة سنة (179هـ) .

(2) انظر : الانتقاء , وترتيب المدارك.

الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله⁽³⁾ :

قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - : اعلموا يا أصحابي وإخواني ، أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة على اثنتي عشرة خصلة :

الأولى : الإيمان ، وهو إقرارٌ باللسان وتصديقٌ بالجنان⁽⁴⁾ .

والإقرار وحده لا يكون إيماناً ، لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنون . وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيماناً ، لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب مؤمنين . والمؤمن مؤمن حقاً ، والكافر كافر حقاً ، وليس في الإيمان شك ، كما أنه ليس في الكفر شك ، قال الله تعالى : { أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا } [الأنفال : 4] . وقال : { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } [النساء : 151] .

والعاصون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم مؤمنون حقاً⁽⁵⁾ وليسوا بكافرين . وتقدير الخير والشر من الله تعالى ، لأنه لو زعم أحد أن قدير الخير والشر من غيره ، لصار كافراً بالله تعالى ، وبطل توحيده .

والثانية : نُقِرَ بأن الأعمال ثلاثة ؛ فريضة ، وفضيلة ، ومعصية : فالفريضة بأمر الله ومشيئته ورضائه وقدره وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ⁽⁶⁾ .
الإمام الشافعي رحمه الله⁽⁷⁾ :

⁽³⁾ النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفي ، ولد سنة (80 هـ) ، وتوفي سنة (150 هـ) ببغداد .

⁽⁴⁾ لا يكتمل التعريف الصحيح للإيمان ، إلا بإضافة عمل الجوارح ، وهو الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة من دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

⁽⁵⁾ .ولا ينفي عنهم ذلك كونهم عصاة ، فهم مؤمنون عصاة .

⁽⁶⁾ انظر : التراجم السننية في طبقات الحنفية .

⁽⁷⁾ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ، أبو عبد الله الهاشمي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة ، توفي في القاهرة

سنة (204 هـ) .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : " الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص .
وسأله رجل : أي الأعمال عند الله أفضل ؟ فقال ما لا يقبل عملاً إلا به . قال : وما ذاك ؟
قال : الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة ، وأسناها حظاً ، قال الرجل : ألا تخبرني عن الإيمان ؛ قول وعمل أو قول بلا عمل ؟
فقال : الإيمان عمل لله ، والقول بعض ذلك العمل .
وإن الإيمان حالات ودرجات وطبقات ، فمنها التام المنتهي تمامه ، والناقص البين نقصائه ، والراجح الزائد رجحانه .
فقال الرجل : وإن الإيمان ليتم وينقص ويزيد ؟
قال الشافعي : نعم .
قال : وما الدليل على ذلك ؟
قال : إن الله جلّ ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها ، وفرقه عليها ،
فليصر من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى .
فمن لقي الله حافظاً لصلواته حافظاً لجوارحه ، مؤدياً بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها ، لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة . ومن كان لشيء منها تاركاً متعمداً ، مما أمر الله به لقي الله ناقص الإيمان⁽⁸⁾ .
الإمام أحمد رحمه الله⁽⁹⁾ :
قال الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى :

(8) انظر : مناقب الشافعي للبيهقي .

(9) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، أحد الأئمة الأربعة ، توفي ببغداد سنة (241 هـ) .

" أصول السنّة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتراء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات ، والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال ، والخصومات في الدين .
والسنة عندنا : آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن .
ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها ، لم يكن من أهلها :
الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه ، والإيمان بها ، لا يقال : لم ؟ ولا كيف ؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها .
ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله ، فقد كُفي ذلك وأحكم له ، فعليه الإيمان به ،
والتسليم له ، مثل حديث الصادق المصدوق⁽¹⁰⁾ ، وما كان مثله في القدر ، ومثل
أحاديث الرؤية كلها ، وإن نبت عن الأسماع ، واستوحش منها المستمع ، فإنما عليه
الإيمان بها ، وألا يردّ منها حرفاً واحداً ، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات⁽¹¹⁾ .

⁽¹⁰⁾ أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب في القدر ، ومسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه ... ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر : ، والترمذي في كتاب القدر ، باب ما جاء في أن الأعمال بالخواتيم ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في القدر : ، من حديث عبد الله بن مسعود ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطنِ أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مُضْغَةً مثل ذلك ، ثم يُرسل المَلَكُ فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »
⁽¹¹⁾ انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة « للالكائي .

أهم الكتب المعتمدة في العقيدة :

1-الإبانة لابن بطة العكبري(387هـ) , الإبانة لأبي الحسن الأشعري , شرح أصول اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم اللالكائي (418هـ), الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني , وشرح السنة للبرهاري (329هـ), وكتاب الشريعة للآجري (360هـ), وكتاب التوحيد لابن خزيمة (311هـ), والسنة للخلال (311هـ), الإيمان للحافظ محمد بن إسحاق بن منده, والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (369هـ), والسنة لعبد الله بن أحمد (291هـ), شرح العقيدة الطحاوية , شرح الفقه الأكبر لعلي القاري , شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية , العبودية لشيخ الإسلام , العواصم من القواصم لابن العربي , الفرق بين الفرق للبغدادى , فضل علم السلف على الخلف لابن رجب , وكتب أبي يعلى الحنبلي (548هـ).

الإيمان

تعريف الإيمان : لغة: مصدر من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن , وأصل آمن : أأمن بهمزين ليئت الثانية , وهو من الأمن ضد الخوف⁽¹²⁾.

وقد عُرّف الإيمان في اللغة بعدة تعريفات : ف قيل هو التصديق , وقيل هو الثقة , وقيل هو الطمأنينة , وقيل هو الإقرار.

والمختار من لفظة آمن لغة بمعنى (أقرّ) والإيمان لغة هو الإقرار القلبي , وهذا الإقرار مشتمل على أمرين :

1 - اعتماد القلب , وهو تصديقه بالأخبار.

2 - عمل القلب , وهو إذعانه وانقياده للأوامر .

تعريف الإيمان في الشرع : فهو عند أهل السنة والجماعة قول وعمل .

(12) انظر الصحاح للجوهري , والقاموس المحيط للفيروزآبادي .

فهذه خمسة أمور اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة : قول القلب , وعمله , وقول اللسان وعمله , وعمل الجوارح .

أدلة دخولها في مسمى الإيمان :

أولا : قول القلب وتصديقه وإيقانه . قال تعالى ((وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [سورة الزمر: 33]. وفي حديث الشفاعة من حديث أنس بن مالك قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً, أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً, أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً » (13).

ثانيا : قول اللسان , وهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله , والقرار بلوازمهما (14), قال تعالى: ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)). (البقرة 136) .

ثالثا عمل القلب : وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه , قال تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) . (الأنفال 2).

(13) انظر مسند الإمام أحمد .

(14) تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله.

رابعا : عمل اللسان , وهو العمل الذي لا يؤدي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الذكر كالتمسيح والتحميد والاستغفار والدعاء . قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)) فاطر 29.

خامسا : عمل الجوارح وهو العمل الذي لا يؤدي إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله تعالى , كنقل الخطا إلى المساجد والحج والجهاد وغير ذلك من الأعمال التي تؤدي بالجوارح قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)).(الحج 77-78).

والحاصل أن الإيمان واجب على جميع الخلق , وهو تصديق بالقلب , وإقرار باللسان وعمل بالجوارح .

زيادة الإيمان ونقصانه

تعريف الزيادة لغة : هي مصدر زاد يزيد زيدا وزيادة , فازداد . وهو أصل يدل على الفضل وقيل : النمو . وتنقسم الزيادة إلى زيادة محمودة : كزيادة العلم والإيمان والصحة . وقال تعالى { وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا } [طه : 114] .

وزيادة مذمومة : كالزيادة على الكفاية , كزائد الأصابع , والزوائد في قوائم الدابة . ومن هذا النوع قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) [التوبة 25] . فهذه زيادة لا خير فيها فهي مذمومة .

آيات فيها التصريح بزيادة الإيمان :

{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } آل عمران 173 .

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا { الأحزاب(22).

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {الفتح 4.

أحاديث فيها التصريح بزيادة الإيمان :

*عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » (15) وفي رواية الطبري : (قَالَ عِكْرِمَةُ : فَقُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ : فَكَيْفَ يُنَزَّعُ الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : كَذَا وَوَصَفَ فَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، فَإِذَا تَابَ عَادَ إِلَى ذَلِكَ) .

قال المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : " الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقال : الزيادة من العمل ، وذكر النقصان إذا زنى وسرق (16) .

*عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » (17) .

قال صديق حسن خان بعد أن ذكر حديث الشعب : " وفي هذا دليل على أن الإيمان فيه أعلى وأدنى وإن كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقصان " (18) .

*عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ - لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ

(15) انظر صحيح البخاري والطبري والبيهقي وابن حبان وابن ماجه

(16) انظر (السنة) للخلال .

(17) البخاري ومسلم .

(18) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن .

قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُذَكِّرُنَا
بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-
عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا.
فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ نَافِقَ
حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « وَمَا ذَاكَ ». قُلْتُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ
عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ
الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ⁽¹⁹⁾.
قال ابن أبي مليكة رحمه الله : " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وكلهم يخاف النفاق على نفسه , ما منهم من أحد يقول : إنه على إيمان جبريل
وميكائيل " .

وإنما معنى كلامه أنه خاف من النفاق إذ أنه كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صلى
الله عليه وسلم فيصبح أكثر مراقبة وإقبالا وهذا زيادة في الإيمان , فإذا خرج اشتغل
بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا , فيكون إيمانه أضعف في هذه الحالة مما يكون عليه
في مجلس الذكر , وهذا نقص في الإيمان .

أقول السلف في زيادة الإيمان ونقصانه :

* قيل لسفيان بن عيينة الإيمان يزيد وينقص قال ألا تقرأون (فرادهم إيمانا) [آل عمران
173] (وزدناهم هدى) [الكهف 13] .

* قال ابن بطّة رحمه الله في الإبانة : " لم يفضل الله الناس بعضهم على بعض برشاقة
الأجسام ولا بصباحة الوجه , ولا بحسن الزيِّ وكثرة الأموال ... فعلمنا أن العلو في

⁽¹⁹⁾ أخرجه مسلم والترمذي و أحمد .

الدرجات والتفاضل في المنازل إنما هو بفضل الإيمان ، وقوة اليقين ، والمسابقة إليه بالأعمال الزاكية ، والنيات الصادقة من القلوب الطاهرة ... ولو كان الإيمان كله واحدا لا نقصان له ولا زيادة لم يكن لأحد على أحد فضل (20).

* يقول أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله : " لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص " (21).

وقال ابن بطال عند شرحها : (مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) (22).

* ويقول ابن كثير في تفسيره : " يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل وتقديره وتثبيته والاستمرار عليه . كما يقول المؤمن في كل صلاة : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة: 6] أي : بَصِّرْنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا هُدًى ، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ . فَأَمْرُهُم بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ } [الحديد: 28] .

* وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله : " وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به ، ولا جهل به ، لأن ذلك كفر ، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان " (23).

* وقال الإمام السفاريني : " الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان " . * وقال عبد الله بن الزبير الحميدي : " الإيمان قول وعمل ،

(20) انظر : الإبانة لابن بطة (836/2).

(21) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح و اللالكائي في السنة .

(22) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري .

(23) انظر شرح صحيح مسلم للنووي .

يزيد وينقص , لا ينفع قول إلا بعمل , ولا عمل ولا قول إلا بنية , ولا قول وعمل بنية إلا بسنة "(24).

⁽²⁴⁾ انظر أصول السنة للخلال .